الثورة
www.althawranews.net
الثلاثاء : 9 شوال 1435هـ - 5 أغسطس 2014م -العدد 18156
Tuesday : 9 Shawal 1435 - 5 August 2014 -Issue No.18156

الفن اليمني القديم:

إحساس اليد وعدستها

أحمد مسعد

ما زال الوعي العام تجاه المنحوتات والنقوش التاريخية والأثرية في اليمن، يكاد يرتبط بدلالتها التاريخية وقيمتها الأثرية/ المادية، بينما يتجلى جزء كبير من هذه القيمة أصلاً في فنيتها، أو في كونها أعمالاً فنية تنتمي لأساليب الفنون القديمة قبل ظهور التقنيات الحديثة وفنون الرسم والتصوير.

وتعد فنون النحت والنقوش التصويرية إجمالاً من أقدم الفنون البصرية التي عرفها الإنسان، واشتهرت بها الحضارات الإنسانية القديمة ومن بينها الحضارة اليمنية، التي عرفت بإتقان هذا المجال من الفن، وما زالت الاكتشافات تتوالى لتحف فنية غاية في الجمال والدهشة التي تعكس حس الإنسان اليمني ورقيه، عوضاً عن دلالاتها التاريخية، والحضارية.

وتحتاج الفنون اليمنية القديمة لقراءة معمقة وثرية وشاملة، حتى تبرز الجماليات التي تحتويها وأساليبها وفنياتها من حيث البناء والتشكيل والكتلة والحركة والدلالات والطقوس، وتاريخها وتطورها، وأنواعها وعلاقتها بالفنون القديمة من جنسها، والفنون الحديثة، ومدارسها وتياراتها.

ويعود تاريخ الفن اليمني القيم إلى الألفية الثانية ق.م.، وقد ظل لفترة نقيا من أي عوامل خارجية حتى بدأ التأثير اليوناني يظهر جليا على طريقة الصناع والنحاتين وكانت قبلها تعكس ثقافة يمنية بحتة، وقد استخدم فيها البلاستيك والبرونز والذهب والمرمر والرخام كثيرا وثمة أعمال تبدو كما لو كانت غير متقنة، بينما نجد أعمالاً دقيقة مصورة لكهنة وأناس من الطبقات الثرية وبعض الأعمال لمزارعين ونحاتين بسطاء لم تكن بنفس الجودة.

ويرى عدد من الباحثين أن اليمنيين كانوا يحرصون على إقحام رموزهم الدينية في المصنوعات فيزينون المباخر والمصابيح التي تضاء بالزيت بصور لوعول وثيران هي تمثل إلهه وعثتر واستطاع الباحثون استنباط بعض جوانب الحياة اليومية لليمنيين من المنحوتات المصورة للناس وكونوا فكرة عن اللباس الذي كان يرتدونه وهو لا يختلف كثيرا عما يرتديه اليمنيون اليوم.

ومن بين النقوش التي عثر عليها الباحثون، نقوش مصورة لنمط الحياة لمختلف الطبقات منها نقوش لنساء ثريات، ونقوش لتصوير احتفالات وتصوير لنساء راقصات

وآلات موسيقية ومقاتلين ومزارعين وكل طبقات المجتمع من المكرب إلى "الآدم". كما لو إن اليمنيين _مثل كل الحضارات_ كانوا قد ابتكروا هذه الطريقة في التصوير بالأصابع، وهو دور ستضطلع به الفنون التشكيلية/الرسم، لفترة كبيرة قبل أن تتحول إلى فن خالص مع ظهور الكاميرا، هذه الأخيرة التي ستتحول إلى فن أيضاً. دون أن تفقد دورها التوثيقي/التصويري في نقل الواقع حرفياً، وكما هو. ومتحركا أيضاً.

ورسم الإنسان اليمني الطبيعة من حوله، كالقمر والشمس، كما جسد الحيوانات في أعماله الفنية، وعادةً ما كان لذلك بعده الديني، ولعل من أشهر ما يعرف به الفن اليمني القديم حيوان الوعل و(كان الوعل كحيوان بري ذا مكانة هامة ليس لصفته الحيوانية كأفضل قربان للآلهة في معابدها وحسب وإنما لما يمثله بصفته الطبيعية إلى جانب شكل قرونه الملتوية كتدوير الهلال والقمر لذلك كان اهتمام الفنان اليمني القديم بشكل الوعل "بالنحت المستقل أو ذي الثلاثة أبعاد والبارز ذي البعدين والرسم المسطح والتصوير" كرمز ديني وفني وتتفرد اليمن بامتلاك أقدم أنواع الإنتاجات الفنية لحيوان الوعل عن غيرها من الحضارات القديمة).

ويرى الباحث والأكاديمي المتخصص في الآثار اليمنية القديمة الدكتور خلدون نعمان، إن الفن اليمني القديم وصل إلى مرحلة من مراحل التجريد في رسمه لقرون الوعل، أو بعض الأشكال الحسية، حين يمزجها بلمسات تجريدية، تحيل على حس عالٍ وراقٍ هو ذات الحس الذي يجعل من التجريد سمة من سمة الفنون الحديثة.

دار الحجر... صورة بالكلمات

عبدالله الحرازي

لقد تعدى تعامل اليمنيين مع هذا القصر كأحد أهم وأشهر المعالم والمزارات السياحية إلى حالة هوس غير معلن حيث نرى صورة منطبعة كعلامات تجارية على ما لا يحصى من المنتجات ابتداءً بقناني أكثر أنواع المياه المعدنية رواجاً مروراً بتطريز صورة على بعض الألبسة وأنواع من السجاد الأرضي والحائطي , ووصل الأمر إلى التعامل السياسي استخدمت صورة دار الحجر كرمز انتخابي لبعض المرشحين , وأخيراً حمل آخر إصدار نقدي من فئة الخمسمائة ريال صورة لدار الحجر .

أحد أشهر وأجمل القصور الملكية والمعالم السياحية في اليمن , اشتهر تسميته بـ"دار الحجر"لأنه بني على صخرة كبيرة تتموضع وسط الوادي منفصلة عن الجبل الخلفي لتشكل منصة يندر أن يحظى بمثلها قصرٌ آخر.ولم يأت شغف اليمنيين بهذا القصر الملكي التاريخي عن ندرة بمثل روعة معماره وتميزه , إذ لا يوجدفي اليمن ما هو أكثر من القلاع والحصون والقصور التاريخية بل إن مدينة كاملة هي مدينة صنعاء القديمة كل مبا نيها تطابق تقريباً الطراز المعماري لدار الحجر في الشكل الخارجي والمواد المستخدمة في البناء بل وتتفوق عليه في القدم بعشرات القرون.وعلى الرغم من ذلك استطاعت هذه التحفة المعمارية الفنية أن تنفرد بمساحة واسعة من الوجدان اليمني الشعبي والرسمي منه على حدٍ سواء .

فليس إلا الفن وحده - كما هو الحال هنا – القادر على بعث الطفولة الجمعية لمجتمع يعرف بشدة مراسه وحدة مزاجه ودون حتى أن يشعر , كما يتجلى ذلك في ظاهرة استحياء الأماكن والأشياء التي يمارسها سكان صنعاء على الأقل مع هذا القصر , حين يتقاسمون معه أفراحهم تماماً كما يتقاسم أطفالهم الحلوى مع دماهم وألعابهم الأثيرة .

عدة أسباب تضافرت ليكتسب دار الحجر تميزه وتفرده وشهرته غير أنها في مجملها لا تعني إلا الفن ولا تفضي إلا إليه وهنا يتجلى السر الذي تصبح معه أي تبريرات أو شروح أخرى غير ذات قيمة وربما خادشة للروعة التي تكتسبها الأشياء بعد لمسة سحرية لا يقدر عليها إلا الفن , عدة فنون امتزجت لتكوّن هذه الدرة الفنية ابتداء بفن اختيار الموقع مروراً بفن التصميم وانتهاءً بتركيبة فنية معنوية امتزج فيها السياسي والتاريخي بالأسطوري لتلتف تلك الباقة بغموض شرقي أنيق باعث لألف التساؤل وشهوة الاكتشاف. وتشير المصادر التاريخية إلى أواخر القرن الثامن عشر الميلادي - إبان السيطرة العثمانية الاسمية على اليمن - لتحدد تاريخ بناء هذا القصر , ولكنها لا تغفل عن ذكر أنه بني على أنقاض قصر سبأي قديم كان يسمى " حصن ذو سيدان " وأعمال النحت القديمة الموجودة في الصخرة المقام عليها القصر كالمقابر الصخرية وغيرها تؤكد هذه اللمحة التاريخية المقتضبة , والتي لم نجد مزيداً عليها فيما طالعناه عن تاريخ دار الحجر قبل القرن الثامن عشر الميلادي حين رغب الإمام المنصور علي بن العباس ملك اليمن في تلك الفترة في بناء قصر كمنتجع صيفي له في منطقة وادي ضهر أحد أجمل المنتزهات الريفية المكتظة بالبساتين والقريبة من العاصمة صنعاء .

وقد عرف الإمام المنصور بولعه الشديد بكثرة الزواج وبناء الدور والقصور , حتى أنكر عليه الناس ذلك , لاستنزافه خزينة بيت المال لكثرة ما ابتنى منها , ويروى أنه بنى ذات مرة قصراً كبيراً وفخماً وسط صنعاء أسماه " دار الطواشي " ليقدمه مهراً لعروس أرادها , وقد احتفظ الضمير الشعبي برفض الناس لهذا البذخ بأهزوجة كان يرددها الأطفال حتى وقت قريب في ألعابهم الجماعية تقول :

دار الطواشي ما منّها شي

....

وعلى الرغم من كثرة قصور الإمام المنصور إلا أن قصراً واحداً منها هو " دار الحجر " سيخلّد ذكره , وقد عهد في مسألة تصميم هذا القصر والإشراف على بناءه إلى وزيره الأديب والشاعر / علي بن صالح العماري المتفرد في عصره بعلم الهندسة المعمارية , وكان قد صمم للمنصور و لغيره العديد من القصور , غير أنه في هذه المهمة مازج بين روح الشاعر والمهندس في آن, وصبّ عصارة الرقة والعبقرية في هذه الرائعة المعمارية حتى آخر قطرة , وربما أوحت إليه روح الشاعر المستشفة أن يبالغ في إكرام ملكه وولي نعمته المنصور في تصميم غاية في البراعة لقصره الذي سيصبح قبره أيضاً في آخر المطاف - رغم الاستحكامات الأمنية الفريدة التي سنعرض لها لاحقاً – إثر عودته إليه جريحاً من معركة شرسة مع القبائل الذين سيتمكنون من اللحاق به ومحاصرة القصر واقتحامه ليرمى في الأخير رأس الإمام المنصور من أعلى قمة في القصر ويدفن بعدها مع حرسه وحاشيته في أحد بساتينه .

وظل دار الحجر القصر الأثير لدى الملوك الذين توارثوه وأضافوا عليه ما أضافوا , وفي الحقيقة لم يكتمل القصر بهيئته الحالية و بأدواره السبعة وملحقاته الخارجية إلا في بداية القرن العشرين على يد الإمام يحي حميد الدين وهو بالمناسبة آخر من تملك القصر من الملوك حيث انتقلت ملكيته بعد اغتيال الإمام يحي عام 1948م إلى شقيقه الأمير الحسن حتى قيام ثورة سبتمبر 1962م حيث أصبح بعدها من الأملاك العامة للدولة وسُلمت إدارته في بداية التسعينيات للقطاع الخاص الذي أكمل ترميمه واستثمره سياحياً .

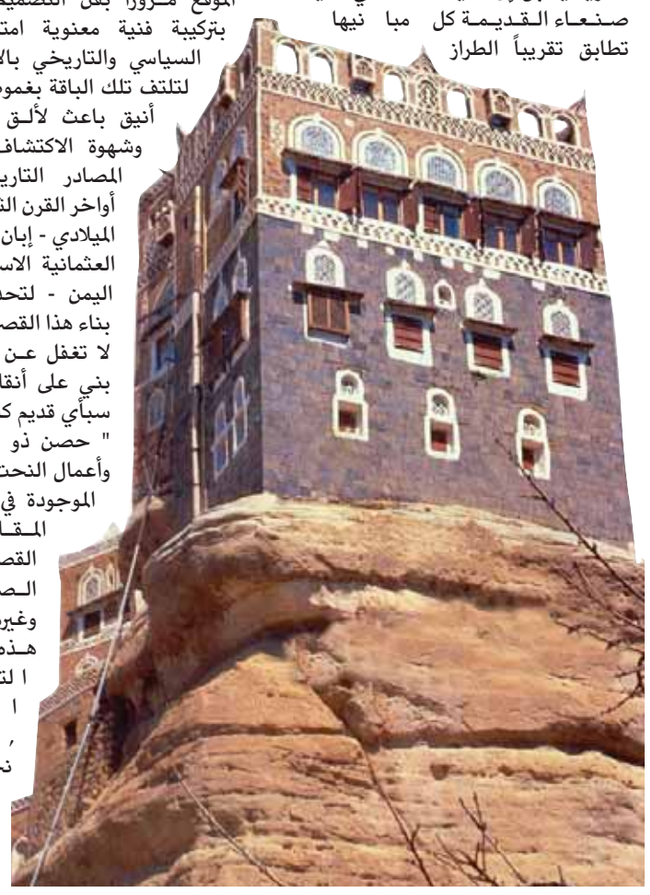

لوحة (نبوءات حافظ) للفنان الإيراني إيمان مالكي، 2003م

لشدّة واقعية هذه اللوحة ووضوح ودقّة تفاصيلها، قد يظنّها الناظر لأوّل وهلة صورة فوتوغرافية.

وهذه النقطة ربّما تثير بعض الإشكالات والتساؤلات. لكن لا بدّ أولا من قراءة اللوحة والمرور سريعا على بعض تفاصيلها.

في اللوحة نرى شقيقتين تجلسان في شرفة منزلهما المطلّ على منظر حضري. الكبرى تمسك بنسخة من ديوان حافظ الشيرازي بينما راحت الصغرى تحدّق فيها بانتظار ما ستقرؤه من شعر.

وباستثناء السماء الممتدّة التي يختلط فيها الغبار بالغيم، لا توجد في الخلفية الكثير من التفاصيل ما عدا بعض الأشجار والبنايات التي تلوح من بعيد.

وقد يكون الفنان أراد من وراء الاقتصاد في رسم الخلفية تركيز انتباه الناظر إلى الموضوع الأساسي؛ أي الفتاتين والجوّ الذي يوحي به الحوار في ما بينهما بشأن الكتاب.

المشهد فيه إحساس حالم وقدر غير قليل من الرومانسية. والتعابير البادية على ملامح الفتاتين هي مزيج من الحزن والترقّب.

بالنسبة للإيرانيين، فإن حافظ الشيرازي ليس مجرّد شاعر فحسب، بل هو جزء لا يتجزّأ من الروح الإيرانية نفسها. وربّما لا يضاهيه شهرة وذيوعا سوى عمر الخيّام.

ارشيف عبدالرحمن الغابري.

رائد الفن التشكيلي ومؤسس مدرسة متفردة اصبح لها تلاميذ واتباع الفلاح والكادح مجسد في لوحاته كبطل يهزم الصعاب ويقهر البؤس .

الفنان العظيم هاشم علي . التقطت ?لصورة في منزله المرسم والمعيشة المستأجر حتى اليوم .. الصورة عام 1998م وهناك العديد من الصور له قديمة مع اعماله سننشرها تباعا.

ظلال

توفيق جبريل يستنطق دخان «غزة»

يُقال في الأثر : يتولد الإبداع من رحم المعاناة !
توفيق جبريل أراد أن يبعث برسالة يفهمها العالم بجميع لغاته المختلفة باستخدام صور دخان الحرب وإعادة رسمها بصورة رمزية تتفق مع شكل الدخان
علّمونا يا أبناء فلسطين كيف يكون الأمل.